واجهتنا حالة مرضية ليلاً ، والليل في بغداد له حساباته، ولا ملجأ ينقذ والدي من آلامه المفاجئة سوى ذلك الرجل الذي يمارس دوره،"طبيب تحت التجربة أو كما يسمى مضمدا طبيا " وهو قريب من منزلنا. يشغل هذا الرجل غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها أربعة أمتار وطاولة مربعة الشكل غطيت بغطاء بلاستيك من النوع السميك تهالكت جوانبه، وضعت على سطح هذه الطاولة علبة معدنية تحتوي على أدوات لزرق الابر وشاش وقطن تعقيم طبي وجهاز فحص الضغط وعِدة من أشرطة الدواء والحقن المختلفة الأشكال والأنواع ، هذه الغرفة شغلت من قبل احد المضمدين في شارع حي الجهاد الذي زادت المراجعات عليه في فصل الشتاء القارس البرودة، الذي صاحبته كثرة الإصابة بوباء الأنفلونزا ،يقول المضمد أبو فلاح: المرضى يجدون الشفاء في الدواء الذي نوصفه لهم خصوصا المصابين بداء الأنفلونزا، والذي لا يحتاج إلا إلى نوع من الابر المخلوطة "اسبجك زائدا مسكن للألم "، والاستشارة الطبية وزرق الابر لا يكلفان غير ٥ آلاف دينار فقط، لهذا المريض يفضل القدوم إلى العيادة لتلقي العلاج بدلا من الانتظار في طابور طويل لرؤية طبيب مختص لا يكتب علاجا يختلف عما وصفناه له من أدوية ، الفرق الوحيد أن أجور كشف الطبيب تتجاوز ١٥ ألف دينار ،إضافة الى أننا نستقبل المرضى في أي وقت، فهم من أبناء محلتنا ولا يأتي شخص غريب.

ممرضون يسحبون البساط من تحت أقدام الأطباء!

يافطات المضمدين في الأحياء السكنية "عمليات صغرى.. وصالة ولادة"

□ بغداد/ إيناس طارق
□ عدسة/ أدهم يوسف

يمارسون كل انواع الطب.. (أرشيف)

رحيل الأطباء

بعد رحيل العديد من الأطباء الاختصاصيين وارتفاع أجور الأطباء، فضلا عن الوضع الأمني وانقطاع الطرق وبطء المواصلات، هذه الظروف مجتمعة جعلت من غرفة المضمد الصحي الصغيرة عيادة متخصصة لعلاج بعض الأمراض البسيطة وحتى العمليات الصغرى ولم تعد وظيفته عبارة عن تضميد وزرق الابر وختان فقط!! وهكذا صار المضمد الصحي طبيباً بلا شهادة ووصوله سهل لكل قاصديه من المرضى وطوارئ سريعة لمن يصعب عليه الوصول الى مستشفياتنا "التعبانة"!! فانتعشت هذه المهنة وكان لها حظ ونصيب في مجتمعنا .

مضمدون أصحاب مهنة وخبرة

هناك البعض من المضمدين أو الممرضين فتحوا عيادات للحصول على الكسب المادي وليس لخدمة الناس، فعندما يتفاقم المرض على المريض وتتأزم حالته يقول له : أذهب إلى الطبيب في وقت يكون فيه العلاج قد تسبب بمضاعفات عدة لدى المريض. بدورنا لا نريد أن نقول إن جميع المضمدين لا يملكون الخبرة لكن هناك من يمارس دور الطبيب البديل ونجح فعلا في ممارسة العمل الطبي ، لكن في حدود الاستشارات الطبية المحدودة، ومع الأسف هناك ظروف شجعت الكثيرين من ضعفاء النفوس على أن يستغلوا الأوضاع الأمنية المتوترة وحاجة المواطنين إلى العلاج، فمارس دور طبيب هاجر أو ترك عيادته فقام من كان معه في العيادة، يشغل مكانا صغيرا لزرق الإبر، بان يرتدي صدرية بيضاء ويعالج الناس وكأنه هو الطبيب نفسه السابق خصوصا لمن لم يعرفه، وحالة المدعو محمد حمزة الخزاعي الذي انتحل صفة طبيب يحمل الاسم نفسه وهو من المفصولين السياسيين وعاد إلى العراق منذ عام ٢٠٠٨ ، وتم قبوله في وزارة الصحة والمستمسكات التي قدمها مطابقة لمعلومات وزارة الصحة"، وأوضحت مصادر طبية أن "الخزاعي هو فعلا طبيب يعمل حاليا في محافظة البصرة لكن هذا الشخص انتحل صفته ومارس الطب بالاستعاضة عنه وبشهادته، مستغلاً تشابه الأسماء التي جاءت مصادفة ".

ورفض الطبيب المزيف الأسئلة التي وجهت إليه من قبل المفتش العام وهي أسئلة طبية لم يجب عليها متذرعا بأنه ارتبك من تواجد القوات الأمنية التي طوقت المكان ومن عدد الصحفيين، وأكد انه طبيب وبإمكان الوزارة التحقق من وثائقه وشهادته، وحاصل على دبلوم في العيون من جامعة بغداد عام ١٩٩٧ وشهادة البورد من جامعة لندن عام ٢٠٠٤ وعلى البكالوريوس عام ١٩٨٧ من جامعة البصرة".

توعية المواطن

الكثير من الحالات الأخرى جعلت من الضروري توعيه المواطن وتعريفه بالسياسة الدوائية في العراق التي هي سياسة غير مدروسة لان من السهولة للمريض الذهاب إلى الصيدلية ويتعاطى أي دواء من دون وصفة طبيب أو مستشفى، فالمريض الذي يتناول الدواء بهذا الشكل يعرض نفسه لكثير من المخاطر والمشاكل فأغلب هذه الأدوية بترجمتها العلمية عبارة عن (سموم) ولها تأثيرات جانبية على المدى القريب أو البعيد كما أن استخدام أدوية تصرف من قبل المضمدين قد تسبب أحيانا مضاعفات كبيرة جدا ولا يمكن إنقاذ حياة المريض لان الوقت انتهى .

رفع المستوى الثقافي

ويمكن رفع المستوى الثقافي للمواطنين من خلال برامج تثقيفية متكاملة ومتناسقة تؤدي إلى التزام المواطن بعدم شراء الدواء واستخدامه من أي مصدر إلا بالرجوع الى الطبيب أو الصيدلاني لتجاوز حالات ظهور أعراض جانبية خطرة أو تسمم دوائي، ونرجو من وزارة الصحة والنقابات عدم إطلاق اي دواء بدون وصفة طبية ، والكثير من الصيدليات لا تدار بشكل مباشر من الصيدلاني فقد يكون المعين فيها على صرف الدواء معلماً أو مهندساً وكأنه محل لبيع المواد الاستهلاكية وهذا بحد ذاته خطر للفرد والمجتمع وحسب تعبير الطبيب جواد منذر طبيب اختصاص عام في مستشفى الشفاء لو أخذنا آثار أدوية الصداع النصفي لوجدنا ان استخدام الدواء من دون استشارة طبية قد يسبب في بعض الأحيان أضراراً بالغة وجسيمة، فأدوية كهذه إذا تم استخدامها بكثرة قد تسبب ارتفاعاً في ضغط الدم وقد تسبب كثرة استعمال الأسبرين قيئاً دموياً نتيجة لتقرحات المعدة.

البيوت تتحول الى عيادات.. (أرشيف)

مضادات حيوية قاتلة

وتعد المضادات الحيوية من الأدوية المهمة التي تلعب دوراً أساسيا في علاج العديد من الأمراض ، فهي مفيدة ولها أثر ايجابي إذا ما تم استخدامها بحسب إرشادات الطبيب وتوجيهات الصيدلاني ، لكنها في ذات الوقت ضارة إذا ما استخدمت بطريقة عشوائية وقد تؤدي بالمريض إلى الموت .. إن استعمال المضادات الحيوية بحرية يؤدي إلى ظهور سلالات من الجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية المستعملة ، وهذه الجراثيم المقاومة قد تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر، مسببة أمراضا لا يمكن علاجها.

آراء المضمدين

يقول المضمد أبو رافد مضى على ممارسته مهنة الطب ١١ سنة، والذي يشغل من منزله غرفة صغيرة ويسميها عيادة ويصفها بالشاملة حيث يتوافد عليها المرضى لقياس الضغط والتأكد منه ومرضى الربو لتخفيف أزمتهم بإعطائهم (الكورتزون) سريع المفعول وخاصة في حالات الأمراض الموسمية والإصابات المفاجئة كالجروح والحروق والصدمات فنجري لها العمليات الصغرى والإسعافات السريعة، فضلا عن مرضى السكر والضغط وحالات نزلات البرد عند الأطفال، إضافة الى زرق الابر والتهاب اللوزتين، وانا اصف لهم الدواء المناسب بالسعر الرسمي الموجود في الصيدليات ولم تردني اية حالة شكوى او تعرض اي مريض بعد علاجي له الى مردود سلبي .

طبيب لكل الأمراض

المرضى المتواجدون في عيادات المضمدين عبروا عن رأيهم، حيث يقول أبو هند: إن أولاده يتلقون العلاج عند المضمد ابو شاهين الذي يملك خبرة ١٢ سنة وهو قديم في منطقتهم ويعلموا انه جيد في وصف العلاج وكان يعمل سابقا في احد المستشفيات الحكومية، لهذا هو يمتلك خبرة كبيرة وأفضل من اطباء الان، حسب تعبير ابو هند ويشاطره الرأي ايضا السيد أبو ماجد وهو رجل كبير في السن ويعاني من ارتفاع الضغط والربو المزمن، تواجد في غرفة المضمد الصحي لقياس الضغط ولأخذ ابر (الكرتزون) كما يقول واستنشاق مادة خاصة عن طريق جهاز يوسع القصبات الهوائية، وهذا بحد ذاته يعد من العلاجات السريعة التي لم تكن متوفرة الا في طوارئ المستشفيات العامة، وهي مزدحمة والاجهزة هناك قليلة لمثل حالته .

الزوجة تتبع الزوج

زوجة المضمد هي الأخرى اكتسبت المهنة، من حيث زرق الابر للنساء والتداوي وإعطاء الادوية في حالة غياب الزوج (المضمد الصحي) بعيدا عن الشهادة والخبرة، اضافة الى ذلك لاحظنا ايضاً ان دور المضمد الصحي لا يقتصر على العلاج في عيادته الخاصة بل يقوم احيانا بعلاج المرضى داخل بيوتهم ممن لا تسعفه حالته الصحية بالذهاب الى المستشفى ويأخذ لقاء ذلك أجورا مرتفعة.

لجان تفتيشية

هناك لجان تفتيشية تمارس دورها الرقابي لمحاسبة أصحاب تلك العيادات وتمنحهم إجازة ممارسة المهنة من قبل دائرة صحة بغداد، ويتم تجديد تلك الإجازة بعد عملية كشف على العيادة عند انتهاء صلاحيتها، والآن وبعد استتباب الوضع الأمني لا بد لتلك اللجان من العودة لممارسة دورها وزيادة متابعة أصحاب تلك المهن.

دور وزارة الصحة يتمثل بالتفتيش على العيادات غير المجازة وغير الرسمية كونها تؤثر على صحة المريض لأن ذلك يعد تجاوزا على عمل الطبيب والصيدلاني، لأن حدود مهنة المضمدين تختص بالضماد وزرق الابر والعمليات الصغرى ولا يجوز لهم ممارسة غير تلك الأعمال.

بينما عبّر الصيدلاني قاسم محمد : ان جهل بعض المرضى وعدم إتباعهم طرقاً سليمة في اختيار الطبيب او المستشفى، يفتح الطريق امام البعض في انتحال صفة الطبيب، ويشير عمار الى ان بعض الأشخاص اذا التقوا بأي شخص يرتدي صدرية بيضاء اعتقدوه طبيبا ويسألونه عن حالات مرضية قد تشجعه ليجلس مكان الطبيب لانتحال صفته. وهذا ما يفعله الآن بعض المضمدين مع الأسف، وهناك كثير منهم حقيقة يملك خبرة في علاج المرضى لكن في حدود المعقول وليس كما ينتحل البعض من المضمدين صفة طبيب، فهذه كارثة إنسانية ومخالفة قانونية .

المفتش العام

ويوضح ان دائرة المفتش العام تقوم بعملية التحري والكشف عن الطبيب المزيف او الصيدلاني باستخدام طبيب يراجع العيادة المشكوك فيها بصفة مريض، او صيدلاني بالنسبة للصيدليات الوهمية وبواسطة ذلك يجري كشف مدى دقة معلوماته الطبية وطريقته في الفحص والوصفة الطبية، ليتم بعدها تقييم ادائه، ويتم اتخاذ الاجراءات القانونية بحقه في حالة التأكد من انه منتحل صفة طبيب او صيدلاني.

ويؤكد ان الوزارة تقوم بحملة كبيرة ضد هؤلاء المزورين ومتابعتهم في بغداد والمحافظات، وقد تم تسليم ٤ اطباء الى القضاء بتهمة مخالفة قانون الصحة العامة.

وينصح "الساعدي" المريض بالسؤال عن الطبيب قبل مراجعته والتدقيق، حيث يشير الى انهم رصدوا قبل فترة طبيباً كان يمارس عمله في عيادته في منطقة السعدون، وبعد سفره الى الخارج جلس مكانه سائقه ليعالج المرضى، وقد انتاب عددا من المراجعين الشك كون عمر السائق لا يتناسب وما سمعوه عن الطبيب الذي يمارس مهنته منذ ثلاثين عاماً ، فبادروا بإخبار الجهات المتخصصة لتدقق وتلقي القبض عليه.

ويشير الى ان بعض الاطباء الذين درسوا خارج العراق،يزاولون مهنة الطب قبل معادلة شهادتهم حسب القانون العراقي، حيث يؤكد الساعدي ان على الطبيب ان يكون مستوفيا لكل الشروط من حيث الشهادة والاجازة حتى يكون قادرا على ممارسة عمله والا سيكون مخالفا للقانون.

فيما يشير الدكتور إحسان جعفر مدير الصحة العامة في وزارة الصحة الى أن بعض الأشخاص غير الأسوياء يستغلون بعض الثغرات والظروف الاستثنائية والأوضاع غير الطبيعة التي يمر بها البلد في فترات معينة،لكسب المال الحرام.

ويحذر من خطورة ان يقوم اشخاص بتقمص دور الطبيب وانتحال شخصيته ومزاولة المهنة وتوصيف العلاج والدواء للمريض مما قد يسبب خطورة على حياته.

وينوه الى أن يكون المواطن واعيا لمثل هكذا حالات وان لا يقع في فخ الأطباء الوهميين، وان يكون متابعاً لسمعة الطبيب، ويسأل عن الأطباء قبل أن يقرر زيارة احدهم ويتأكد من وجوده بالفعل، كما يمكن أن يسأل عن الطبيب من خلال المؤسسات الصحية الحكومية.

منهم مارس دوره بعد أن هاجر الطبيب أو ترك عيادته، فقام من كان معه في العيادة بشغل مكان صغير لزرق الإبر، وارتدى صدرية بيضاء وصار يعالج الناس وكأنه هو الطبيب السابق نفسه!!

■ مضمدون فتحوا عيادات للحصول على الكسب المادي وليس لخدمة الناس

■ بعد رحيل العديد من الأطباء الاختصاصيين وارتفاع أجور العلاج أصبحت غرفة المضمد الصحي عيادة طبية